

الفنان والإعلامي (الباجنيد) الفارس الذي ظلموه حياً وميتاً !

السبت 01 يونيو 2013 01:07 مساءً

عدن(عدن الغد)خاص:



*كتب الفنان العدني /عصام خليدي

أستمت التجربة الإبداعية للفنان و الإعلامي الكبير عبد الرحمن باجنيد بدرجة عالية من الفرادة والخصوصية والمزايا والأبعاد الجمالية والمهنية بالمعنى القيمي التصنيفي و التوصيفي النقدي - وبحضورها المتوهج البهي المتألق- في عموم المشهد الفني/ الثقافي/ والإعلامي، و أجزم إنني لم أعان قط عسراً في الكتابة كما اللحظة، لاسيما أنه لم يتبين من الجهات الأمنية والرسمية إفادة أو تفاصيل حول الحادث الإجرامي البشع و اللا إنساني لواحدٍ من أهم الرموز الإبداعية في (مدينة عدن).

و ما يزيدنا مرارة و حسرة تجاهل و تغييب (الفنان والإعلامي البارز والأكثر شهرة و انتشاراً عربياً وعالمياً) من وزارتي الثقافة و الإعلام اليمنية؛ تصوروا حتى كتابة هذه السطور لم تقم مراسيم العزاء أو حفل الأربعينية مروراً بذكراه السنوية (الأولى و الثانية) و منذ رحيله المفجع في تاريخ 18/ مايو/ 2011م، يبدو واضحاً و جلياً عدم رغبة الجهات الرسمية في تخليد و إحياء ذكرى فقيد الوطن رحمه الله.

أن ما يحدث من (جحود و نكران) على صعيد الواقع المعاش كارثة ومصيبة كبرى (أزمة في السلوك و الأخلاق).

ظَلِمَ (الباجنيد) حياً و ميتاً رغم مشوار و رحلة عطاءاته و إبداعاته الفنية الغنائية الموسيقية و الإعلامية الحافلة و الثرية النوعية و المتألقة في خدمة الوطن من خلال مسيرة عمل و كفاح و تعب و معاناة و تاريخ مهني، متميز، راق، ناصع، و مشرف.

أن ما يحدث من (جحود و نكران) على صعيد الواقع المعاش كارثة ومصيبة كبرى (أزمة في

السلوك و الأخلاق).

ألا يستحق (فقيدنا المبدع) صاحب التجربة الإبداعية الشاملة و الاستثنائية و لو وقفة تقدير و عرفان لما قدّمه في سجلات و ذاكرة الوطن (فارساً) في محراب الفن و الثقافة و الإبداع، (الوفاء و العرفان) ذلك أقل و أبسط ما يمكن تقديمه تقديراً و تخليداً و اعتزازاً لدوره الفني و الإعلامي الريادي و المعاصر.

الغرق في طوفان الكذب و النفاق:

**السؤال المهم اليوم هل يحتاج هذا (الرجل) بعد مماته (للساطات و المناشدات) من أجل قيامنا
بواجبنا و إحساسنا بأدميتنا...!؟**

كان مبدعنا يمتلك قلباً رقيقاً مرهفاً متدفقاً كنهج جار بالمشاعر و الأحاسيس و بأسمى تجليات القيم و المعاني الأخلاقية و الإنسانية النابضة و الحية و عُرف عن (الباجنيد) التواضع و الخجل و نكران الذات، إضافة لذلك لم يكن ممن يجيدون صنع العلاقات و الوساطات و المجاملات على حساب قيمة المستوى الفني الإبداعي الذي يقدمه للجماهير طيلة حياته، نعم كان ينأى بنفسه بعيداً عن أحزاب المجاملات و الوساطات التي يسببها (غرقنا) منذ زمن بعيد في (طوفان) الكذب و الزيف و النفاق (مكونات الفساد الإبداعي و الأخلاقي في وقتنا الراهن).

**السؤال المهم اليوم هل يحتاج هذا (الرجل) بعد مماته (للساطات و المناشدات) من أجل قيامنا
بواجبنا و إحساسنا بأدميتنا...!؟**

أننا في زمن انعدام المعايير و المقاييس و الأخلاقيات المهنية و الوظيفية و الإنسانية و لا تعليق...!!؟
نأمل من الجهات ذات العلاقة المختصة الرسمية (وزارتي الثقافة و الإعلام و المجلس المحلي في مدينة عدن)
تحريك مجريات الأمور الراكدة و قيامها بدورها و واجبها الوظيفي و الإنساني المناط بها في مثل هذه الحالات
التي يرصدها و يتابعها باهتمام (الرأي العام) و بشكل عاجل حاسم خلال الفترة القادمة.

أننا في انتظار صحوة ضمائرنا من غفوة انشغالاتنا بأمر الحياة فهل نستطيع إصلاح ما أفسده
الدهر...!!؟

مؤامرة انتقامية كبرى :

**أننا في انتظار صحوة ضمائرنا من غفوة انشغالاتنا بأمر الحياة فهل نستطيع إصلاح ما أفسده
الدهر...!!؟**

تباعاً لمسلسل القهر و الأحزان تستمر معاناة أبناء الشعب اليمني و تزداد قساوة و مرارة في كل لحظة بسبب إنقطاعات التيار الكهربائي بصورة متلاحقة و عشوائية (12 ساعة يومياً) من العيب و الفوضى و اللامبالاة بأدمية الإنسان .. إنها ساعات طويلة يحرم خلالها المواطن من راحة النوم و عدم توفير أبسط الخدمات و لعل أهمها كما أشرت مشكلة إنقطاع التيار الكهربائي المستفزة خاصة في هذه الأيام مع قسوة و معاناة صيف عدن القائم و ارتفاع و شدة درجة الحرارة و الرطوبة القاتلة المميتة عشرات و مئات الضحايا من مرضى ضغط الدم و القلب و السكري و الفشل الكلوي و الأطفال الرضع يموتون في كل لحظة تحت مظلة عناوين بارزة رنانة مركزية مبطنة بالنوايا السيئة الخبيثة الملعونة الرعناء مفادها (العقوبات الجماعية) و تحويلنا إلى

الإقامة الجبرية القسرية في سجن مركزي كبير في داخل مدينة عدن.. و العالم بأسره يشاهد ما يحدث من جرائم ترتكب ضد أبنائنا و أمهاتنا و شيوخنا و الجميع صامت يقف متفرجاً لم يحرك ساكناً منذ سنوات - غياب الأمن و الأمان و السكنينة و الاستقرار و المليارات تُصرف من الدول المانحة لأصحاب العيون الحمراء و المصالح و الكروش المنتفخة من التخمة و البذخ - حروب الإبادة الجماعية تُمارس ضد شعب الجنوب الأعزل و المُسالَم تحت مسميات و شعارات الحوار الوطني - العدالة الانتقالية - و دولة المؤسسات و القانون.

لقد سئمنا الحياة في سبيل العيش بعزة و كرامة و حرية غير مهذرة مسلوحة منهوبة تحت وطأة (المؤامرة الانتقامية الكبرى) على أبناء و أهالي الجنوب العدني المنكوب منذ عام 1967 م.

تتوالى خيبات الأمل بمستقبل أفضل أرغد من تبعات ما نقرأه و نسمعه و نشاهده من أحداث جسام يمر بها معترك المشهد السياسي منذ فترة، يتساقط الشهداء و الأبرياء و هم يقدمون ثمناً باهظاً لقضايا متشعبة معقدة، تُسفك الدماء لتصفية حسابات و سيناريوهات ليست في حقيقة الأمر لصالح هذا الوطن و أبنائه الشرفاء الصامدين بل جاءت ليزداد الواقع المعاش ظلاماً و قتامة، فالجميع يهتف و ينادي برفع و تحسين حياة الشعب معيشياً/ اقتصادياً/ اجتماعياً/ ثقافياً/ و معنوياً نحو مستقبل متطور واعد و مستقر، فيحتدم الصراع بين الأطراف صاحبة القرار و تزداد فجوة الخلاف اتساعاً.

لقد سئمنا الحياة في سبيل العيش بعزة و كرامة و حرية غير مهذرة مسلوحة منهوبة تحت وطأة (المؤامرة الانتقامية الكبرى) على أبناء و أهالي الجنوب العدني المنكوب منذ عام 1967 م.

في هذه الأثناء و منذ زمن يصعب تحديده تجاوز عشرات السنين يُطحن و يُسحق كل من له صلة و علاقة (بالثقافة و الفن و الفكر و الإبداع)، هذه الشريحة المرهفة شديدة الحساسية (صناع الحياة الثروة الحقيقية) التي ينبغي أن يفاخر بها وطننا اليمني الحبيب (ضمير الأمة و ذاكرتها عبر العصور و الأزمنة على الأرض) تُداس مشاريعها و أفكارها و آرائها بالنعال و الأقدام و تُهمل إنسانياً و وظيفياً في مجاهل النسيان و التهميش و التغييب و تُغتال أحلامها و تصطدم بواقع أليم مُذل لا يقوى على احتماله (الشیطان)، و نحن بدورنا نؤكد (عندما تسقط السياسة يسقط النظام .. و عندما تسقط الثقافة يسقط الوطن).

أهم المحاور الفنية والإعلامية في تجربة الفقيه عبد الرحمن باجنيد :

يُعد الفنان عبد الرحمن باجنيد في طليعة و مقدمة الفنانين اليمنيين الذين تأثروا و تتلمذوا بين أحضان الموسيقار الكبير أحمد بن أحمد قاسم من خلال (المدرسة القاسمية التجديدية)، و نستطيع القول أنه واحد من أهم مرتاديها الموهوبين الذين استفادوا كثيراً من (فنونها و ثرائها النغمي الموسيقي المتطور و الحديث)، و بطبيعة الحال كان للأجواء الفنية في تلك الفترة الزمنية المتوهجة المزدهرة البارزة لعصر (الأغنية العدنية الذهبي) أثرها الواضح و الجلي على موهبة الفنان الشاب حينها عبد الرحمن باجنيد، و مما لا شك فيه أن لمدارس الغناء العدني و رواده (الجهابذة) الأثر الفني الإيجابي البالغ والفاعل في صقل مكوناته الغنائية و الموسيقية و بلورة موهبته الفنية منذ وقت مبكر من حياته الإبداعية.

في حقيقة الأمر أستطاع الفنان (الباجنيد) رغم (قصر عمره الفني) أن يؤسس (قاعدة غنائية مغايرة) لما كان سائداً في ذلك الزمان، بل أنه أخط لنفسه منهاجاً جديداً، و شكّل من خلال عطائه و نتاجه الفني الإبداعي (بصمة مستقلة) منفردة في عموم المشهد الغنائي الموسيقي اليمني المعاصر.

أبرز الملامح والخصائص الغنائية والموسيقية :

تتلخص ملامح تجربة الفنان عبد الرحمن باجنيد الغنائية والموسيقية و تتمحور في القدرة الفائقة على مزج حالات شعورية إنسانية متداخلة متوحدة في سياق (ميلودي هارموني موسيقي نغمي إيقاعي) يُصوّر و يُعبّر عن مشاهد و مدلولات و رؤية و معان تحمل مضامين عاطفية رومانسية و روحية بكثافة و غزارة و بمنتهى الصدق و الشفافية و العذوبة تخاطب القلب و الضمير و الوجدان (بطريقة و معالجة إبداعية قيمة راقية المضمون و الأثر سيكولوجياً و نفسياً في محاكاة المستمع المتلقي لأغانيه)؛ أنه في صوته و غنائه كضياء و نور الصباح المشرق يُشعرني بحالة من الفرح و البهجة و الغبطة المتوائمة مع الشجن المحبب الجميل و الدفء و السعادة و الأمل.

فناننا المبدع من وجهة نظري صاحب الصوت الرخيم المتفاعل الحالم الأسر و العميق الواصل إلى أفئدتنا و شغاف قلوبنا - الطائر المحلق بأرواحنا إلى عوالم المحبة و التسامح الخير و العطاء - هو (الكروان المغرد) في سماوات و فضاءات الأغنية اليمنية و في الجزيرة العربية و الخليج العربي و عموم الوطن العربي من أدناه إلى أقصاه.

و لعل من أبرز روائعه و أغانيه الشهيرة ذائعة الصيت: أعطني يا طير من ريشك جناح/ غني لنا غني/ طير من وادي تين/ الفرحة فرحتنا/ أنا خايف من حبك/ أذكريني/ حبيب القلب فيه نفسي/ يا ناسي غرامك/ يا صاحب الخال/ بانجناه/ صباح الخير/ حلاوة و إلا نار/ بشرى العيد (كل عام و أنتم بخير) / و دويتو هجرت أوطاني.. و سلام.. سلام و العديد من الأغنيات الحالية الخالدات.

أستخدم الفنان المبدع (الباجنيد) مقامات موسيقية متعددة و نجح ببراعة و اقتدار في توظيفها بفطرة ربانية غير متناهية و بشكل جذاب مبهر حفرت في ذاكرة و ذائقة الجماهير العريضة في الداخل و الخارج - مُتبعاً أسلوب و منهاج (السهل الممتع) في التلقائية و البساطة، مثالنا على ذلك تعاطيه بحنكة و فداة مع المقامات التالية: البيات/ الراسخ/ الكرد/ الهزام/ السيكال/ النهوند.. و غيرها من المقامات الشرقية التي أستطاع إعادة تقديمها و صياغتها و معالجتها علمياً و موسيقياً باشتغالات معرفية و اعية و بحرفية و إتقان فأعطاه خصائص إبداعية غير مسبوقة جديدة من نبضه و عوالمه الساحرة الخاصة؛ إضافة لذلك قدرته الفنية و النغمية و الصوتية اللافتة الخلاقة الباذخة على التنويع و التجدد في ألحانه و في سياق الأغنية التي يقدمها و نعني بذلك الأمر (هيكل و قوام و بناءات اللحن في شكل و نمط المعمار الموسيقي الهندسي الذي يقدمه بكفاءة عالية)، ليرتقي بالأذن المتلقية و بالمستمع اليمني و العربي في أعماله التي امتازت في (ديناميكية) حركة و رشاقة الجمل اللحنية الموسيقية و الأرتام و الإيقاعات و انسيابها و تدفقها بحوارات أدبية شعرية نغمية (ديالكتيكية) بين المذاهب و الكولبيات.

ثنائيات فنية :

يمتاز الفنان الراحل (الباجنيد) بالأداء الهادئ الراكز و الرصين و بوضوح و سلامة مخارج نطق الحروف و الألفاظ و ترجمة معانيها أثناء أدائه و غنائه، و تُصنّف طبقاته الصوتية علمياً بمصطلح (طبقة التينور).

قدم الفنان الكبير عبد الرحمن باجنيد (ثنائيات فنية) مع أهم شعراء الأغنية اليمنية أبرزهم الأساتذة: لطفي جعفر أمان/ عبدالله هادي سبييت/ الأمير صالح مهدي العبدلي/ علي أمان/ أحمد شريف الرفاعي/ محسن علي بريك.. وآخرين، و جديراً بالإشارة أنه قدم للفنان سعيد أحمد بن أحمد رحمه الله الأغنية المعروفة (في طرفك الأحور.. يا شهد يا سكر).. بالإضافة لتعاونه الفني المشترك (بدويتو هجرت أوطاني) مع الفنانة الروسية زينب خانو و أيضاً مع الفنانة اليمنية فايزة عبدالله في أغنية (سلام.. سلام)، كما شارك أثناء تواجده في المهجر بالعديد من الحفلات الفنية الناجحة في الأعياد و المناسبات الوطنية.

يمتاز الفنان الراحل (الباجنيد) بالأداء الهادئ الراكز و الرصين و بوضوح و سلامة مخارج نطق الحروف و الألفاظ و ترجمة معانيها أثناء أدائه و غناؤه، و تُصنّف طبقاته الصوتية علمياً بمصطلح (طبقة التينور).

برع في توظيف العديد من الإيقاعات اليمنية و العربية و قدّمها في أغانيه مثال على ذلك: الإيقاع الشرحي العدني الثقيل 8/6، و الإيقاع المصمودي 4/4، و الرومبا 4/4، و إيقاع الشرح البدوي.. و كان موفقاً للغاية في تقديمها في أعماله الفنية.

الإبداع في المجال الإعلامي :

عمل مديعاً و مخرجاً في تلفزيون عدن منذ تأسيسه و حقق نجاحاً و شهرة كبيرة، فقد كان يجيد بمهارة العديد من اللغات الحية بطلاقة و إجادة، و لعل (الذاكرة اليمنية في منتصف الستينات) من القرن الماضي مع بداية افتتاح تلفزيون عدن لا تخطو تألقه في تقديم الترجمة الفورية لمسلسل (الهارب) و كان ذلك الأمر إنجازاً عظيماً سابقاً لعصره ليس على المستوى اليمني المحلي و حسب؛ بل في إطار المنطقة العربية بشكل عام (في تقديم الترجمة الفورية للمشاهد عبر الأثير على الهواء مباشرة)، و لا يفوتني الإشارة أيضاً (لدوره الهام و إبداعاته المتفردة في إذاعة عدن).

الباجنيد عمل مديعاً و مخرجاً في تلفزيون عدن منذ تأسيسه و حقق نجاحاً و شهرة كبيرة، فقد كان يجيد بمهارة العديد من اللغات الحية بطلاقة و إجادة،

ثم غادر الوطن فناننا الراحل لأسباب متداخلة لسنا بصددها في هذا المقام بعد (الاستقلال الوطني) حاملاً حضوره الفني المدوي و الإعلامي البارز متوجهاً إلى هولندا و ظل مديعاً متألقاً في إذاعة هولندا إلى أن تولى (رئاسة القسم العربي)، ثم عاد إلى أرض الوطن في (عام 1990م مع قيام الوحدة اليمنية المباركة) ليجد بعد سنوات طويلة من الاغتراب القهري معشوقته و معبودته الأبدية (عدن) التي أحبها حتى الثمالة و عاش بين أزقتها و شوارعها و حاراتها العتيقة التاريخية.. العيدروس/ القطيع/ حافة حسين/ حافة القاضي/ حافة العجائز/ أبان/ الزعفران/ سوق الطويل/ صيرة/ حقات/ الطويلة/ وأبو الوادي.. عاد إلى (مسقط رأسه) و مرتع صباه و شبابه (ليموت و يُدفن في تراب مدينة عدن) الطاهرة الحبيبة التي ستحتضنه و لن تفارقه في رحلته الأبدية إلى خالقه الباري سبحانه وتعالى.

مادة خاصة بـ(عدن الغد)